الحمق والجنون في أشعار نزار قبّاني

The stupidity and madness in Nizar Qabbani's poetry

10.35781/1637-000-097-005

د. بسّام بن بلقاسم البرقاوي
د. صالح بن سليمان بن ساعد الكلباني

*أستاذ مساعد بجامعة الشّرقيّة (سلطنة عمان)
bassem.bargaoui@asu.edu.om
**أستاذ مساعد بجامعة الشّرقيّة (سلطنة عمان)
saleh.alkalbani@asu.edu.om

الملخّص

يدور الكلام في هذا المقال على مفهومين شائعين متواترين في تجربة نزار قبّاني، الحمق والجنون. والدّاعي إلى الاهتمام بهذا الموضوع داعيان: أوّلهما غياب الأعمال النّقديّة التي انصرفت إلى الموضوع على كثرة ما حظيت به تجربة هذا الشّاعر من وافر اهتمام، وثانيهما طرافة بعض المعاني الشّعريّة التي أبان من خلالها الشّاعر أنّه وإن بعث حمقاه ومجانيه من تراث أدبي ثقيل فقد استطاع أن يقول بعض ما لم يقله الأوائل. وحتّى نتدبّر بعض المداخل إلى بعض تلك المعاني مهّدنا للعمل بإضاءات رمنا من خلالها الكشف عن أبرز الإشكاليات والمحاور التي سنخوض فيها. ونهدف من خلال العمل أن نثير ثلاث قضايا. أولاها تتعلّق بالاتّصال النّصي بين مفردتي الحمق والجنون. وثانيها تتّصل بتحوّلات الحمق في شعر نزار قبّاني. وثالثها يرتبط بما سميّناه جنون الحبّ/ جنون الأدب. وبمنهج استقصى المدونة لنخلص إلى جملة من النّتائج أبرزها أنّ بين مفردتي الحمق والجنون وما تناسل منهما من مصطلحات أسباب وأنساب. أمّا إذا فصلنا بينهما إجرائيّا قلنا إنّ معاني الحمق قد عرفت تحوّلات عديدة حسّنت القبيح وقبّحت الجميل. وقلنا إنّ العشق المجنون ليس كمثله شيء، وأنّه إلى الجنون يرجع الأدب كلّه.خيرأخبأ

الكلمات المفاتيح: الحمق - الجنون - نزار قباني.

Abstract

This article discussed the two common consecutive concepts: stupidity and madness in Nizar Qabbani's collections. There are two reasons for focusing on this topic. The first is the lack of the critical works devoted to the topic despite of the great attention paid to this poet's experience. The second is some interesting poetic meanings through which he could manage to say what has been unsaid before although he created his stupid and mad characters from a heavy literary heritage. Therefore, to approach some of these

ISSN : 2410-1818

meanings, we started with some highlights of the most eminent problems and themes which we are going to go through.

The aim of this study is to raise three issues. The first one is exploring the textual connection between the two terms: stupidity and madness. The second is identifying the transformations of stupidity in Nizar's poetry. The third issue we focused on is what we called the madness of love/madness of literature .

By studying Nizar's writings, we came up with several findings. The most important is that the two terms: stupidity and madness and what is derived from them in addition to their synonymes have common semantic field and connection. However, if we seperate them in use, we can see stupidity meanings have witnessed several transformations which made the ugly looks beautiful and the beautiful looks ugly. In this study, we also found out that there is nothing like the mad love and to madness all the literary works refer.

Keywords :Stupidity- Madness- Nizar Qabbani.

تصدير

أو فرغنا من شعر العقلاء حتّى نروي شعر المجانين؟ **الأصفهاني**.

إنّ أعظم النّعم تأتينا من الجنون. **سقراط**

مقدّمة

إضاءات

أوّلا : قال ميشال فوكو (Michel Foucault) (1926 - 1984) وهو يقدّم أطروحته عن الجنون" من أجل الحديث عن الجنون، ينبغي امتلاك موهبة الشّاعر". فأجابه جورج كانغلهايم ((Georges Canguilhem (1904- 1995) أحد أعضاء لجنة المناقشة "إنّك تمتلكها يا سيّدي". وعرّف إرنست هيربيك (Ernst Herbeck) (1920- 1991) بنفسه في مشفى شهير للأمراض العقليّة يدعى" ماريا غوغينغ"، فقال " أنا من أكثر الشّعراء فقرا على هذه الأرض، وأكثرهم جنونا".

ولسنا ندري كيف سنعرّف الشّاعر نزار قبّاني الذي ولد" في بُرْجِ الحَمْلْ، بُرْجِ المجانينِ الذينَ قَرَّرُوا أن يسرقُوا من السَمَاءِ النّارْ".[1] فلمّا اشتدّ عوده أصبح " سفير الجنون".[2] ولسنا ندري كيف

[1] – وُلِدْتُ في بُرْجِ الحَمْلْ
بُرْجِ المجانينِ الذينَ قَرَّرُوا
أن يسرقُوا من السَمَاءِ النّارْ ... نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، بيروت، منشورات نزار قبّاني، ط.2002/3. ج. 9، ص. 11.

[2] – مَنْ ذَا أكُونْ؟

ISSN : 2410-1818

سنردّ التّهمة عنه إذا قيل إنّه عاش في" جمهورية جنونستان"،[1] فكان شاعرا مجنونا. كيف نردّ هذه التّهمة وهو ربيب حضارة كادت تسوّي بين الشّعر، والجنون، والسّحر، والكهانة.[2] حضارة كادت تقرن مراتب العشق السّنية بالجنون. فروت لنا قصص الشّعراء المجانين الذين إذا أصابهم عشق حرموا نعمة العقل. فهاموا في البراري والبوادي.

ثانيا: لم يرد الجنون في النّص القرآنيّ إلاّ منهيّا عنه، أو منفيّا، أو في سياق اتّهام وازدراء.[3] فالجنون آفة يبتلى بها المرء. ولوثة تصيب عقله فينطق عن الهوى. "وتجعله في آخر مراتب الهرم الاجتماعيّ"[4]. فهو" يُعرّف سلبا بذهاب العقل. وهو يعرّف أيضا بدوالّ ترد في أخبار العشّاق وتقوم على معنى الخلط وعدم التّمييز.[5] والجنون " في مقام السّقم من الصحة والضّعف من القوّة والعجز من القدرة".[6]

ولم يرد الحمق في التّراث العربيّ غالبا إلاّ مستهجنا مذموما. فقد أولع القدامى" بذمّ حمقى الكتّاب ولهجوا بهجوهم في كلّ زمن (...) وقد أكثر النّاس من الحكايات المضحكة عن هذا النّوع

أنا مَلِكُ النّرجسيّةِ حينًا..

وحينًا سفيرُ الجُنُونْ.. م. ن، ج.5، ص.31.

[1] – "جمهورية جنونستان (لبنان سابقا) " هي مسرحيّة كتبها نزار قبّاني عام 1977 في بدايات الحرب الأهليّة اللبنانيّة. **الأعمال النثريّة الكاملة**، بيروت، منشورات نزار قبّاني، ط.2008/3. ج. 8، ص. ص. 667- 763.

[2] – انظر عن السّحر والشّعر: مبروك المناعي، **الشّعر والسّحر**، دار الغرب الإسلاميّ، ط.1/ 2004.

وعن الكهانة والسّحر والشّعر: العادل خضر، **الأدب عند العرب مقاربة وسائطيّة**، تونس، منشورات كلّية الآداب منوبة ، دار سحر للنّشر، ط.1/ 2004. انظر خاصّة الباب الثّاني الموسوم بـ " السّلالة المقدّسة أو شجرة أنساب الوسائطيّين الجدد، ص .207 وما بعدها.

[3] – *وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ،*

التّكوير 81/ 22، أَوَلَم *يَتَفَكَّروا ما بِصاحِبِهِم* مِن *جِنَّةٍ* الأعراف 184/7. *ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ*، **الدّخان** 14/44. *كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* " **الذّاريات** 52/51...

[4] – فمن حيث الوضعيات القانونيّة من الواضح أنّ المنظومة الفقهية تقوم على هرم اجتماعي أعلاه الرّجل تليه المرأة، ثمّ العبد ثمّ الأمة ثمّ الطّفل والمجنون، رجاء بن سلامة، **بنيان الفحولة أبحاث في المذّكر والمؤنّث**، تونس، دار المعرفة للنّشر، 2006، ص. 45. و"الأولاد والمجانين والقصر والنّساء ليسوا مواطنين" قانون تشريعيّ فرنسيّ، عبد الله محمّد الغذّامي، **ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللّغة**، المركز الثّقافي العربيّ، ط.2/ 2000، ص. 68.

[5] – رجاء بن سلامة، **العشق والكتابة**، منشورات الجمل، ط.1/ 2003، ص .166.

[6] – أحمد خصخوصي، **الحمق والجنون في التّراث العربي من الجاهليّة إلى أواخر القرن الرّابع**، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط.1/ 1993، ص. 52.

ISSN : 2410-1818

من الكتّاب ممّا صاروا به هزؤا على مرّ الزّمان وتعاقب الأيّام.[1] فالحمق " قلّة الإصابة ووضع الكلام في غير موضعه" [2]فساد في العقل أو في الذّهن".[3] وهو لعنة إذا أصابت المرء عاش مقهورا وبقي بعد حياته مثلا مشهورا. والحماقة نقيصة وداء أعيت من يداويها.[4] وقد" قُبّح منظر الأحمق رؤية ورؤيا، وكره مظهره، وشنّئت أفعاله، وأدينت صفاته، ولُعنت أخلاقه حتّى خرج في صورة قبيحة كأشدّ ما يكون القبح إن في الشّكل وإن في الجوهر".[5]

ولعلّ ما يعنينا أساسا من مواقف بعض القدامى في هذه التّوطئة أنّهم عدّوا الحبّ شعبة من شعاب الحمق".[6] لأنّه يجعل عقل العاشق" موضع ريبة وتصرّفاته مجلبة للعار".[7] وقد " تبدى الجنون في

---

[1]– القلقشنديّ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمّد حسين شمس الدّين، بيروت لبنان، دار الكتب العلميّة. د، ت، ج. 1، ص. 47. وانظر الأبشيهي، **المستطرف في كلّ فنّ مستظرف** " الباب الثّاني في العقل والذّكاء والحمق وذمّه وغير ذلك " وانظر الأصبهاني في باب " في العقل والحمق وذمّ اتّباع الهوى" **محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء**، هذّبه إبراهيم زيدان، مصر، مطبعة الهلال، 1902، ج.1، ص. 4 وما بعدها.

[2] – الأصبهاني، **محاضرات الأدباء**، ص .4.

[3]– ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفّلين**، بيروت، دار السّرور، د.ت، ص. 16.

[4]– لكلّ داء دواء يستطبّ به.. إلاّ الحماقة أعيت من يداويها. الرّاغب الإصبهاني ، **محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء**، ج.1، ص. 15. وروي أنّ عيسى عليه الصّلاة والسّلام أتى بأحمق ليداويه فقال: أعياني مداواة الأحمق. ولم يعييني مداواة الأكمه والأبرص" م. ن، ص.15. وقريبا من هذه الرّواية ما أورده ابن الجوزي " عن الأوزاعي أنّه يقول " بلغني أنّه قيل لعيسى بن مريم عليه السّلام: يا روح الله إنّك تحيي الموتى؟ قال نعم بإذن الله، قيل وتبرئ الأكمه؟ قال نعم بإذن الله ، قيل فما دواء الحمق ؟ قال هذا الذي أعياني" م. ن، ص. 14.

[5]– أحمد خصخوصي، **مجمع الهزل والجدّ**، تونس، مركز النّشر الجامعي، ط.1، 2011، ص. ص. 39–40.

[6]– أحمد خصخوصي، **الحمق والجنون في التّراث العربي من الجاهليّة إلى أواخر القرن الرّابع**، ص. 38.

[7]– ورد هذا الشّاهد في سياق الحديث عن موقف بني عامر من العشق وتمامه " لم يكن أمام بني عامر، وقد أبدلتها الحال الذي انتهت إليه بفرسانها الذين كانوا يهدفون نحورهم لتحقيق المجد فتيانا يتحيّنون الفرص لمطارحة بنات القبيلة الغرام، كما أبدلها ما كان يعمل من أجله الآباء والأجداد من سعي لزعامة العرب بما انتهى إليه العشّاق. وقد أصبح جلّ ما يسعون إليه من أجل الظّفر بأولائك الفتيات اللوّاتي تيّمن قلوبهم عشقا، لم يكن أمام بني عامر إلا أن يتبرأ من هؤلاء الفتيان وتتّخذ ممّا رمتهم به من الجنون علّة لما يجاهرون به من تشبيب بنساء القبيلة ووجد بهنّ، فلا يجدر بعاقل، ينتمي لقبيلة بني عامر التي كانت تفتخر أنّها أغلظ أكبادا، أن يهيم عشقا بفتاة على نحو يجعل عقله موضع ريبة وتصرّفاته مجلبة للعار " سعيد السّريحي، **العشق والجنون دولة العقل وسلطان الهوى في الثّقافة العربيّة** لبنان، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، 2015، ص. 77.

ISSN : 2410-1818

الأساطير الدّينيّة المبكّرة والحكايات الخرافيّة بوصفه قدرا أو عقابا"[1] ولم تظهر مفاهيم الجنون والخبل والحماقة إلاّ "منبوذة ومطرودة ومقصيّة خارج دائرة الوقار الفلسفي".[2]

ولم يجمع الأسلاف أخبار الحمقى والمغفّلين والمجانين، في الغالب، إلاّ لما فيها من مليح التّهكّم وظريف الاستخفاف وطريف التّندر، وقد يجمعونها أحيانا لبيان مزيّة العقل وفضله.[3] إذ "لا شيء أطيب من النّظر في عقول الرّجال". [4] ولم نجد المجانين في فترة من فترات التاريخ الأوروبيّ إلاّ معزولين مع بقيّة "النّفايات" الاجتماعيّة من شحّاذين ودجّالين ومنحرفين خلف أسوار ما أطلق عليه حينئذ اسم المستشفى العام، والذي كان أقرب إلى الملجأ أو الإصلاحيّة منه إلى المستشفى بالمعنى المألوف للكلمة".[5] " فالتّخلص من المجانيين والإبحار بهم إلى أماكن بعيدة عن المدن الرّئيسيّة، واقع تاريخيّ لا يمكن إنكاره ويشهد على ذلك واقع الإقصاء والنّبذ الذي تعرّض له المجانين طوال فترة النّهضة وتلك التي أعقبتها".[6]

---

[1] – روي بورتر، **موجز تاريخ الجنون**، ترجمة ناصر مصطفى، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث، كلمة، ط.1/ 2012.ص.19.

[2]– حتّى لا نحرّف هذا الشّاهد عن مقاصده بعد أن عزلناه عن سياقه ووظفناه في الإطار العام الذي نزّلنا في المقدمة نرى من المفيد أن نذكر الشّاهد بتمامه " إنّ نقطة انطلاقي قد تبدو تافهة ومصطنعة. ففي هذا الكتاب الذي يحتوي على ستّ مائة وثلاث وسبعين (673) صفحة، خصص ميشال فوكو ثلاث صفحات (57/54) – وهي بمثابة مدخل فقط للفصل الثّاني – لفقرة وردت في التأمّل الأوّل من مؤلّف " التّأمّلات " لديكارت، حيث تبدو – وأشدّد هنا على كلمة تبدو – مفاهيم الجنون وغرابة الأطوار والخبل والحماقة، منبوذة ومطرودة ومقصيّة، خارج دائرة الوقار الفلسفيّ، ومرحومة من الاعتراف والاحترام الفلسفيين ومعزولة وأيضا مدعوّة للمثول أمام المحكمة وأمام هيئة الكوجيطو الذي لا يمكن أن يكون مجنونا من حيث ماهيته. جاك دريدا، **استراتيجيّة تفكيك الميتافيزيقا حول الجامعة والسّلطة والعنف والعقل والجنون والاختلاف والتّرجمة واللّغة**، ترجمة وتقديم عز الدّين الخطّابي، إفريقيا للشّرق، ط.2013/1، ص. ص. 18–19.

[3]– آثرت أن أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة أشياء. الأوّل أنّ العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه، فحثه ذلك على الشّكر. والثّاني أنّ ذكر المغفّلين يحث المتيقّظ على اتّقاء أسباب الغفلة (...) والثّالث أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظا يوم القسمة، فإنّ النّفس قد تملّ من الدّؤوب في الجدّ، وترتاح إلى بعض المباح من اللّهو" ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغلقّين**، ص. ص.5–6.

[4] – ابن الجوزي، **أخبار الأذكياء** – تحقيق محمّد مرسى الخولي، المكتب الشّرقي للنّشر والتّوزيع 1970، ص. 3.

[5]– محمّد علّي الكردي، **الجنون في الأدب الفرنسي العقل واللاّ عقل أو خطاب الجنون عند ديدرو**، عالم الفكر، م .18، ع.1، أبريل– مايو – يونيو، 1987، ص. 26.

[6] – سعيد بنكراد في تقديم كتاب ميشال فوكو، تاريخ **الجنون في العصر الكلاسيكيّ**، الدّار البيضاء، ط.1، 2006، ص. 12.

ISSN : 2410-1818

ثالثا: زيّن نزار قبّاني الحماقة للنّاس حتّى كاد يوقر في الأذهان أنّها ألذّ من العقل وأحلى.[1] وزيّن لهم الجنون حتّى خالوا أنّه "معلّم مجنون".[2] وإذا استثنينا بعض النّصوص التي يُقبّح فيها الحمق ويُستكره فيها الجنون، لم نجد الحماقة في أشعاره إلاّ مرغوبا فيها مطلوبة. فالحماقة التي عُدت داء – وإن كانت في بعض المقامات محمودة - غدت عنده دواء لشفاء قلوب محبيّن طوّحت بهم حكايا العشق، وأتعبتهم قصص الغرام، بل غدت عنوان كمال في العقل لمن قيل فيها إنّها ناقصة عقل ودين.

وأمّا الجنون فلم يزل الشّاعر يعلي من قدره، ويسمو بذكره حتّى غدا عنده "أرقى حالةٍ من حالات العقلْ...".[3] فهو إذا عشق عشق كالمجانين. وإذا تغزل ذوّب الطّبقات الجليديّة بين العقل والجنون.[4] وهو إذا هجا وسخر وتهكّم "واجه الجنون بالجنون".[5]

وعلامات الحمق في أشعار قبّاني تظهر أوّل ما تظهر في عناوين القصائد. وأعراض الجنون تمسّ أوّل ما تمسّ عتبات الدّواوين. فإذا ما اشتدّت الأعراض، وضاقت عنها العناوين، وإذا ما استشرت العلامات، وعافتها العتبات، أصابت العدوى جسد النّصّ بتمامه، وأوسعته بأنواع السّقام. حينها يلجّ الشّاعر في البحث عن وصفة عربيّة لمداواة الحمقى والمجانين. وعن هذه الوصفة ومكوّناتها إبداعا ونقدا، يدور كلامنا في هذا العمل.

---

[1] – عذلوني على الحماقة جهلا وهي من عقلهم ألذّ وأحلى

لو لقوا ما لقيت من حرفة العلم لساروا إلى الحماقة رسلا. م. ن، ص. 61.

[2] – *ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ"* الدّخان 44/.14.

[3]– نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، ج.5، ص. 319.

[4]– نجد الشّاعر في سياق القصيدة الواحدة يجمع بين العقل في العنوان "وصايا إلى امرأة عاقلة " والجنون في المتن" أوصيك بجنوني خيرا " ج. 3، ص. 259. ويذهب ميشال فوكو إلى أنّ " حقيقة الجنون هي أن يكون موقعه داخل العقل، أن يكون إحدى صوره، أن يكون قوّة وحاجة آنية لإثبات وجوده " **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ص.57.

[5]– أنا كهذا العصر، يا حبيبتي
أواجه الجنون بالجنون
وأكسر الأشياء في طفولة
وفي دمي رائحة الثّورة واللّيمون...
أنا كما عرفتموني دائما
هوايتي أن أكسر القانون
أنا كما عرفتموني دائما
أكون بالشّعر ... وإلاّ لا أريد أن أكون
نزار قبّاني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ج.6، ص.42.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: الحماقة والجنون: هي لباس له وهو لباس لها

يبدو أنّ قدر الحمق والجنون - وما تناسل منهما من مصطلحات- أن يتقاربا في الحدود، حينا وأن يتبادلا الأسماء حينا آخر. ذلك أنّ" المعرّفين عندما راموا تحديد الحمق تحديدا اصطلاحيّا لم يجدوا بدّا من اللّجوء إلى مقارنته بالجنون باعتباره قريبا منه. فالحمق والجنون رغم افتراقهما في عدد من الأوجه يجتمعان في أنّهما نقصان في العقل قد يعلو وقد يسفل حسب الحالات،[1] وأن يشتركا في الألفاظ الواسمة،[2] وأن يتشابها في العبارات الدّالة.[3] فـ" للمجنون في اللّغة أسماء كثيرة، (...) ومنها الأحمق"[4] بل يبدو أنّ قدرهما أن يجتمعا في مقامات الأدب العربيّ تأريخا وإبداعا ونقدا.

فقلّما أقبل أديب على جمع أخبار الحمقى قديما ولم يعرض إن قليلا أو كثيرا إلى أخبار المجانين. ولعلّ أبرز الأمثلة على ذلك كتاب ابن الجوزي" أخبار الحمقى والمغفّلين".[5] ونادرا ما أقدم باحث معاصر على دراسة الجنون ولم يشر من بعيد أو من قريب إلى الحمق.[6] بل إنّ ميشال فوكو كان يستعمل تسميات " من قبيل أحمق ومعتوه ومجنون ومستلب للإحالة على نفس الشّيء".[7]

ولكن في المقابل يحسن أن نشير إلى أنّ بعض الدّارسين حاولوا أن يبحثوا عمّا يميّز بين الحمق والهجاء من فوارق لطيفة واختلافات دقيقة " تفرّق اللّغة داخل هذا الحقل بين مظهرين للاختلاف أحدهما الاختلاف داخل النّظام الكساد / الجهل – الحمق) والآخر الاختلاف خارج النّظام (الاستتار / المغايرة / الانقطاع، الجنون).[8] وقد استند أحمد عسيري في هذا التّمييز الذي سمّاه بالمفارقة الدّقيقة بين الجنون والحمق على ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي" أمّا الحمق فهو: فساد أوّل الرّؤية فيما يؤدّي إلى الغاية المطلوبة، حتّى ينهج غير السّبيل الموصل...أمّا الجنون فهو : فساد التخيّل في انتفاء ما ينبغي أن

---

[1]- أحمد الخصخوصي، **الحمق والجنون في التراث العربيّ**، ص. 26.

[2]- ظاهرة الاشتراك في اللّفظ دفعت خصخوصي إلى تذييل عمله بفهرس انتقائيّ للألفاظ الدّالة سويّا على الحمق والجنون فذكر : الألاق – الألق – الثّول – الخرف – الخلاطة – الدّله – الذّهول – السّلس – العدم – اللّوثة – الهبت م. ن ، ص. 261.

[3]- على أنّ هذا الحقل (الجنون) كثيرا ما تأتلف فيه العبارات الدّالة على الجنون والحمق. فإذا بها كتلة دلاليّة واحدة تذوب فيها الفروق بين هذا المعنى وذاك، وهذا أمر طبيعيّ لأنّ كثيرا من الألفاظ مشتركة المعاني متحدّة الدّلالات حتّى أنّ الملفّ ينطلق مطبقا لمعاني الجنون على تصرفات النّاس، فإذا به –ودون أن يشعر بحاجة إلى واصلة أو فاصلة – يأخذ في تعداد أعمال الأحمق" م. ن، ص. 45.

[4] – النّيسابوري، **عقلاء المجانين**، شرح وتعليق عبد الأمير مهنا، بيروت، دار الفكر اللّبناني، ط.1990/1. ص .27.

[5] – م. ن ، ص. 27.

[6] – م. ن، انظر خاصّة ص. 25 وما بعدها.

[7] – ميشال فوكو، تاريخ **الجنون في العصر الكلاسيكي**. ص. 17.

[8] – أحمد عسيري، **اللغة والجنون مقاربة في النّقد الثّقافي**، الخطاب، **ع.19، ص .134.**

ISSN : 2410-1818

يؤثّر حتّى يتّجه إلى إيثار غير المؤثر. فالفاسد من الجنون غرضه. ومن الأحمق سلوكه. إذ غرض الأحمق كغرض العاقل ولا يعرف في أوّل الأمر إلاّ بالسلوك إلى تحصيل الغرض. والجنون هو فساد الغرض، ولذلك يعرف في أوّل الأمر ..."[1]

وإذا نظرنا في مدونة نزار قبّاني الإبداعيّة والنّقديّة نستجلي تعريفا أو تعريفات للحمق والجنون ونبحث عن تصوّره للعلاقة بينهما ، رأينا أنّه رغم زعمه أنّ الجنون لا يفسّر- جنون الحبّ لا يفسّر- فإنّه قد لا فسّر ما لا يفسّر. فهو قد عرّف الجنون وكشف عن بعض أنواعه وضبط مراتبه. بينما صمت في المقابل عن تعريف الحماقة- مثلما سكت بعض القدامى عن ذلك لعسر تعريفها- [2] وإن كان الباحث لا يعدم بعض الإشارات التي يمكن أن يستقي منها تعريفا ما يمكن أن يعتمد عليه في قراءة المتن النّصيّ المتّصل بالأحمق والحمقاء. ومدار تلك الإشارات "أنّ من تكتب عن همومها" في منطق الرّجال امرأة حمقاء.

وبهذا المعنى لن نعود إلى المعاجم نستجلي معاني الحمق ودلالته. بل سنحاول تفكيك منطق الرّجال في قصيدته "رسالة إلى رجل ما" حتّى نعلم لم تساءل الشّاعر في حيرة ممضّة عاتية وهو يخاطبهم على لسان المرأة مالكم كيف تحكمون؟ وثانيهما أنّه أعاد إلى الأذهان ثنائيّة الحمق والجنون. فجعل الجنون لباسا للحماقة. وجعل الحماقة لبوسا للجنون.

والتّلازم النّصيّ بين الحماقة والجنون ظاهرة شائعة في قصائد نزار قبّاني نشير إليها تمثيلا في الجدول التّالي:

عنوان القصيدة	مفردات الحمق والجنون	الإحالة
يجوز أن تكوني	الجنون - أبله.	ج1، ص 518.
رسالة إلى رجل ما..	سطحيّة - غبيّة - مجنونة - بلهاء- حمقاء.	ج1، ص 571.
محاولات لاغتيال امرأة.	جننت- غبائي - يا للحماقة - المجانين - سخيف.	ج.2، ص. 118.
أشهد أن لا أمرأه إلا أنت.	حماقاتي - جنوني.	ج.2، ص. 523.
مع فاطمة في قطار الجنون.	قطارات الجنون - الحماقات.	ج .4، ص .169.
محاولات لقتل امرأة لا تقتل.	جننت- المجانين- لا أضيع بقية عقلي- غبائي - سخيفا.	ج.4، ص. 295.
سايكولوجية قطّة .	جنونك - بحماقة.	ج .5، ص. 315.
سأقفل باب القصيدة.	جنوني - الحماقات.	ج .5، ص. 539.

[1] – أبو حامد الغزالي، ميزان **العمل**، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، ط.1/ 1964، ص . ص. 275- 276.

[2] – قيل لإبراهيم النّظام (221 هـ) ما حدّ الحمق؟ فقال: سألتني عمّا ليس له حدّ " ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفلين**، ص.26.

ISSN : 2410-1818

عشرون محاولة لتشكيل امرأة	جنوني - حماقة.	ج.9، ص. 107.
من يوميات عاشق متخلف	الأبله - البلهاء - المجذوب - جنوني - الأحمق - الحمقاء.	ج.9، ص.601.
مئة رسالة حب (ديوان)	الهذيان- جنوني- غبائنا- أحمق- الحماقات- كالمجنون- الأغبياء - المجانين- سخيفا - مجنونة - الجنون.	ج.2، ص.288 وما بعدها.
من يوميات رجل نصف مجنون	حماقات - مجنونه.	ج .9، ص. 35.

يمكننا اعتمادا على هذا الجدول أن نخرج بالملاحظات التّالية:

أوّلا : للحمق والجنون في شعر نزار قبّاني منازل وأيّ منازل هي. فهما يسكنان العتبات قبل الخبايا. ويحتفي بهما العنوان قبل أن يحتفل بهما النّصّ. وفضلا عن العناوين التي كشف عنها الجدول عنون الشّاعر قصائده بـــ" من يوميّات رجل مجنون" [1] "من يوميّات رجل نصف مجنون" [2] "حماقة".[3]

ثانيا : رغم تعدّد أسماء الأحمق [4] فإنّ نزار قبّاني كاد يكتفي بجذر (ح. م. ق) يقلّبه نعتا واسما. وهو في القليل النّادر قد جاوزه إلى ما هو من الحمق قريب كمفردة الرّعناء.[5]

ولم يختلف الأمر مع مفردة الجنون، فهو قد جعلها مفردة مركزيّة في شعره. وأحال على ما هو منها قريب كمفردة المجذوب التي ورد ذكرها في الجدول، أو مفردة الهذيان التي أكثر الشّاعر من استدعائها.[6] وبين الجنون والهذيان قصّة طريفة حكى بعض فصولها ميشال فوكو في كتابه " **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكيّ**". وإلى ذلك كلّه يحفل معجم قبّاني الشّعريّ بمفردات عديدة تحيل على

---

[1]- نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، ج.4، ص. 135.

[2]- م. ن ، ج .9، ص .235.

[3]- م. ن، ج.2، ص. 564.

[4]- ينظر الباب الرّابع من أخبار الحمقى والمغفّلين الذي خُصّص لذكر أسماء الأحمق، ص. 18.

[5]- كلماتُنا الرّعناء مضحكة ...ما كان أغباها.. وأغبانا، نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.1، ص. 479.

[6]- قولي ما الحلّ فأشواقي

وصلت لحدود الهذيان. م. ن، ج. 4، ص. 183.

امنحيني روعةَ الإحساس بالموتِ ...

ونُعمى الهذيانْ... م. ن، ج .2، ص.14.

ISSN : 2410-1818

الحزن وما جرى في حقله المعجميّ كالاكتئاب. ومن الثّابت أنّ "اللّغة - إذن - مادّة كيمائيّة جاهزة للجنون. وبذا فإنّ العلاقة ما بين الكتابة والاكتئاب هي طبيعية في الفعل الإبداعيّ" [1] يقول في قصيدته " سيرة ذاتيّة ":

أنا هكذا.. منذُ خمسينَ عامًا
فلا لجُنُوني ضفافٌ.
ولا لاكتئابي حُدُودٌ. [2]

ثالثا: لئن بيّن الجدول السّابق عمق التّلازم بين الجنون والحماقة، إذا استوت الحماقة لباسا للجنون، واستوى الجنون لباسا للحماقة، فإن ذلك لا يعني أنّ المفردتين لا تردان إلاّ متلازمين. ففي أعماله الشّعريّة الكاملة قصائد عديدة ذكر فيها الحمق ولم يذكر فيها الجنون، وقصائد كثيرة أيضا ذكر فيها الجنون ولم يذكر فيها الحمق.

المبحث الثاني : وليس الأحمق كالحمقاء

حين تتبّعنا صور الحمقى وتعرّفنا إلى أقدارهم وعرفنا أحوالهم تبيّن لنا أن ليس الذّكر كالأنثى، وليس الأحمق كالحمقاء. فإذا ما ذُكِّرَتْ كلمة الحمق لم تختلف دلالاتها الشّعريّة كثيرا عن دلالاتها المعجميّة. أمّا إذا أُنِّثَتْ تلاشت دلالتها المعجميّة في العادة[3] وفسحت المجال رحبا للشّعر، ينسج ما يريد أن ينسج من المعاني.

إنّ العاشق الأحمق هو رجل لا يحسن تقدير الأشياء. فيتوهّم مثلا أنّه متحرّر من سلطة الأنثى، إذا بعدت به الدّيار وشطّ به المزار وانقطعت بينه وبينها الأسباب. غير أنّه كلّما حطّ عصا التّرحال في مصر من الأمصار، أو أناخ بكلكل في برّ من البرور وجد الأنثى تطارده. بل وجدها تسكن حقيبة سفره:

أحمق أنا.. حين ظننتُ أنّي مسافرٌ وحدي..
ففي كلِّ مطار نزلتُ فيه..

---

[1] – محمّد عبد الله الغذّامي، **المرأة واللّغة**، ص. 138.

[2] – نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج. 5، ص .19.

[3] – قليلة هي القصائد التي ظهرت فيها الحمقاء بصورة سلبيّة ونذكر تمثيلا قوله:
وأنا – على رغم كل حماقاتك وكل إساءاتك الماضيَهْ
لا أزال أحبّكِ ..
وها أنذا قد جئتُ ..

لكي أحملك كقطة صغيرة على كتفي، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج. 2، ص. 286.

ISSN : 2410-1818

عثروا عليكِ.. في حقيبة يدي..[1]
أعترفُ لكِ يا سيّدتي..
أنّكِ كنتِ امرأةً استثنائية
وأنَّ غبائي كان استثنائياً...
فاسمحي لي أن أتلو أمامكِ فِعْلَ النّدامَهْ
عن كلِّ مواقف الحكمة التي صدرتْ عنّي..
فقد تأكّد لي..
بعدما خسرتُ السّباقْ..
وخسرتُ نقودي..
وخيولي..
أنّ الحكمةَ هي أسوأُ طَبَقٍ نقدِّمهُ..
لامرأةٍ نحبُّها....[2]

والعاشق طالما أضنى حبيبته وأرهقها بحماقاته، ومع ذلك صبرت صبرا جميلا فلم تشتك ولم تتألّم، ولم تضجر ولم تتبرّم، ولم تعرض عنه ولم تهجره.[3] وإذا كانت مخالطة المرء لأحمق شهر واحد كافية لإصابته بأوضار كلامه[4] تساءلنا عن حالة من تعاشر أحمق لعشرة أعوام بتمامها وكمالها:

أشهد أن لا امرأة..
أتْقَنَتِ اللُعْبَةَ إلاّ أنْتِ
واحتملت حماقتي عشرةَ أعوامٍ كما احْتَمَلْتِ..
واصْطَبَرتْ على جنوني مثلما صَبَرْتِ [5]

ونجد الشّاعر يرتكب الحماقة تلو الحماقة حتّى يفوز في الحبّ فوزا عظيما. ويكون قائدا رائدا في طابور الرّجال الذين شغفتهم المرأة حبّا:

---

[1]- (100 رسالة حبّ)

[2] - م. ن، ج .2، ص. ص. 445- 446.

[3]- استوى لدى القدامى أنّ العاقل والأحمق ضدين "والضّد يهرب من الضّد" وأنّ العاقل " يضل عقله عند محاورة الأحمق" ، أبو حيّان التّوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، صححّه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزّين، منشورات المكتبة العصريّة ، بيروت، صيدا، د.ت ، ج.2، ص. 90.

[4]- ولو جالست الجهال والنّوكى والسّخفاء والحمقى شهرا فقط، لم تنق من أوضار كلامهم، وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا، لأنّ الفساد أسرع إلى النّاس وأشدّ التحاما بالطبائع" الجاحظ ، **البيان والتّبيين**، ج.1، ص. 86.

[5]- نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.2، ص. 523.

ISSN : 2410-1818

ما هُوَ المطلوبُ منّي؟
كي أكونَ الرجُلَ الأوَّلَ ما بين رجالِكْ
وأكونَ الرائدَ الأوَّلَ..
والمكتشفَ الأوَّلَ..
والمستوطنَ الأوَّلَ..
في شَعْرِكِ.. أو طَيَّاتِ شَالِكْ..
ما هو المطلوبُ حتّى أدخلَ البحرَ..
وأَستلقي على دفءِ رمالِكْ؟
إنني نفَّذْتُ – حتى الآنَ –
آلافَ الحماقاتِ لإرضاء خيالِكْ
وأنا استُشْهِدتُ آلافاً من المرَّاتِ
من أجل وصالِكْ.. [1]

وإذا تجاوزنا الذّكر إلى الأنثى تحوّلت دلالات الحمق تحوّلا كبيرا. فالرّجل الذي كان يعتذر عن حمق أتاه ونفسه مكرهة أصبح مفتونا بالمرأة الحمقى موكّل بها:

تعجبني حماقاتُ فاطمَةْ..
عندما تتجاوزُ الإشَاراتِ الحمراءْ
التي وضَعَها التّاريخيُّونَ حول كلامِها،
وحول أحْلامِها..
وتذبحُهُمْ في خيمَتِهِمْ
واحداً.. واحداً.. [2]

مردّ هذا الإعجاب كما هو بيّن تمردّ فاطمة على الذين يضربون الخيام والأوتاد على جسدها حتّى لا تريغ وحتى لا تزيغ. ويمسكون لسانها بنسغة حتّى لا تكلمّ إنسيّا. ويصادرون أحلامها حتّى لا ترى أملا. ويقتلون أمانيها حتى لا تنتظر غدا. فهم " الأسوياء" وهي "الحمقاء " وهم " الأذكياء" وهي "الغبيّة".

وبهذا المعنى يكون الحمق سلاحا تواجه به المرأة مجتمعا في قلوب أهله مرض. ولعلّ لا قصيدة تكشف عن دور الحمقاء في التّمرّد على المجتمع كقصيدة "رسالة إلى رجل ما" التي سنتوقّف عندها بعض التّوقف لما طرأ فيها على مفردة الحماقة من معان غير مألوفة في عرف اللّغة، ولا هي على صلة

[1]– م. ن، ج.2، ص. 250.

[2]– م. ن، ج.4 ص. 242.

ISSN : 2410-1818

بما استقرّ من دلالات رشحت في كتب الأدب القديم حول الحمقى والمغفّلين. منذ العنوان يضعنا الشّاعر في سياق غير مألوف، فالمتكلّم صاحب الرّسالة امرأة. وجرت العادة ألاّ تتكلم المرأة في الشّعر العربيّ إلاّ قليلا.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ مجرّد نسبة الكلام إلى امرأة "عاقلة " هو نقيصة[1] تساءلنا كيف سيكون الأمر إذا كانت المرأة المتكلّمة حمقاء غير سوّية؟ وتزداد حيرتنا حين نسلم بأنّ " الأحمق هو الذي يتكلّم بالصّواب الجيّد ثم يجيء بخطأ فاحش"[2] فهل كانت المرأة في هذا النّصّ حمقاء كاسدة العقل لا يلتفت إليها في أمر؟

ما إن نترك العنوان للبحث في خطاب هذه المرأة حتّى ندرك أنّ صاحبتنا ليست بالحمقاء. بل كانت تتحامق لكونها على دراية تامّة بخفايا تاريخ النّساء وخباياه. فهو تاريخ صامت لا تتكلّم فيها الأنثى إلاّ بحسبان. تاريخ فيه الألسن معقودة، والأصابع مشلولة:

يا سيِّدي العزيزْ
هذا خطابُ امرأةٍ حمقاءْ
هل كتبتْ إليكَ قبلي امرأةٌ حمقاءْ؟
اسمي أنا؟ دَعْنا من الأسماءْ
رانيةٌ.. أم زينبٌ
أم هندُ.. أم هيفاءْ
أسخفُ ما نحملُهُ ــ يا سيّدي ــ الأسماءْ

ينفتح الخطاب ساخرا ممعنا في التّعابث والتّخابث من خلال عبارة يا سيّدي العزيز "أسيادنا الرّجال.. أقول" أسيادنا" مراعاة بل تحفّظا من أن ينقل حديثنا إليهم فيظنّوا أنّ النّساء يتآمرن عليهم... فكلمة "أسيادنا" تخمد نار غضبهم.. إنّي رأيتهم يطربون لتصريحنا بأنّهم ظلمة مستبدّون".[3] ولعلّ في هذه العبارة وحدها ما يدعونا إلى القول إنّ هذه المرأة ومنذ الاستهلال قد كشفت أنّها أبعد ما تكون عن الحمق. فهذه "الحمقاء" كانت تعرف حقيقة المعرفة أنّها مدانة سلفا إن هي تكلّمت وإن هي لم تتكلّم، وهي تعرف أيضا أنّها مدانة أكثر إذا تكلّمت "غريب الحديث" وشهّرت بالشّرق الذي:

---

[1]– " يحمد للمرأة السّكوت، وإذا طال لسانها فإنّها حينئذ مريضة يتوجّب علاجها، وكانوا في أوروبا العصور الوسطى يضعون المرأة سليطة اللّسان (أي التي تستخدم لسانها) في كرسيّ يقيّدونها إليه، ويقومون بغطسها في مياه النّهر مرّات متكرّرة وذلك من أجل إطفاء النّار الملتهبة في عضلة اللّسان .إذ ليس مطلوبا منها استعمال هذه الآلة المذكّرة. ولماذا تتكلّم وقد ناب عنها الذّكور في ذلك "عبد الله محمّد الغذامي، **ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللّغة**، ص. ص. 40-41.

[2] – الجاحظ، **البيان والتّبيين**، م.1، ص .249.

[3] – مي زيادة، **الأعمال الكاملة**، جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، بيروت، مؤسسة نوفل، 1982، ج. 1، ص. 155.

ISSN : 2410-1818

يصادرُ الرّسائلَ الزّرقاءْ

يصادرُ الأحلامَ من خزائن النّساءْ

يمارسُ الحَجْرَ على عواطف النّساءْ

هي على وعي بأنّ الكلام قد "أزلّها"، وأوقعها في" المحظور". لذلك بعد أن قالت وأطالت في تعرية الشّرق، وبعد أن أسهبت وأطنبت في التّطاول" على مملكة الرّجال" عادت في خاتمة النّصّ لتقول للذّكور:" ما لكم كيف تحكمون؟ " فالمرأة قالت ما قالت، وهي تعلم أنّ قومها ممّا نطقت به ساخرون متهكّمون. فقد انغلق النّصّ بحشد من النّعوت التي افترضت المرأة أنّ الرّجل يجلدها بها جلدا.

قُل كلَّ ما تريده عنيّ. فلن أبالي

سطحيَّةٌ.. غبيَّةٌ .. مجنونةٌ .. بلهاءْ

فلم أعُدْ أُبالي

.. أنَّ من تكتبُ عن همومها

.. في منطق الرّجال تدعى امرأة حمقاءْ

ألمْ أقل في أوّل الخطاب إنّي امرأةٌ حمقاءْ....

قد لا يكون من التّمحل إذا قلنا إنّ بيت القصيد في كلام قبّاني عن الحمق عموما وعن الحمق في هذه القصيدة خصوصا إنّما يُختزل في قوله "لأنّ من تكتب عن همومها ..في منطق الرّجال تدعى امرأة حمقاء". ونحن نذهب هذا المذهب لأنّ بعض الدّراسات "الجندريّة" " أشارت إلى أنّ كلّ أنثى تستعمل اللّغة تصبح حمقاء. وكلّ أنثى تستعمل العقل وبُعد النّظر تكون مخرّفة. وكلّ أنثى تقطع لغة الرّجال يكون فعلها مثالا على الحماقة "[1]–خاصّة إذا ما تمّ التّسليم بأنّ" لبّ المرأة إلى حمق". [2] وبهذا المعنى لم تعد الحماقة غريزة ومعطى بيولوجيا يولد مع الإنسان كما ذهب إلى ذلك صاحب كتاب "أخبار الحمقى والمغفّلين" [3] بل أصبحت معطى ثقافيّا يسم به الذّكر الأنثى إن هي أفصحت عن مشاعرها وإن هي حدّثت بمحنتها.

---

[1]– عبد الله محمّد الغذامي ، **ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللّغة** ، ص. 68.

[2]– الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق محي الدّين عبد الحميد، بيروت، دار القلم، د.ت، ج.2، ص. 199.

[3]– إذا بلغك أنّ غنيا افتقر فصدّق، وإذا بلغك أنّ فقيرا استغنى فصدّق، وإذا بلغك أنّ حيّا مات فصدّق، وإذا بلغك أنّ أحمق استفاد عقلا فلا تصدّق، **أخبار الحمقى والمغفّلين**، ص. 14.

ISSN : 2410-1818

وإجمالا قد لا يكون من التّمحل إن قلنا إنّه لما كان تاريخ المرأة في وجه من وجوهه هو تاريخ تحميق. "فمرّة يجري تحميق المرأة إذا كبرت ويجري حجرها داخل حدود اليأس" [1] ومرّة يجري تحميقها إذا جاهرت بمشاعرها وبادرت بكشف مواجدها. ومرّة يجري تحميقها "لأنّها كتبت عن همومها" ..

لقد جاء صوت الحريم هذا الذي يعيش في "بلاد القهر والكبت"[2] ليقطع مع "شرق الخرافة والثّعابين" شرق المشانق والسّكاكين".[3] وقديما متى حُمّقت المرأة أصابتها اللّعنة - وإن وجدنا من أمثال العرب "خرقاء ذات نيقة"، أي أنّها حمقاء وهي مع ذلك تتأنّق في الأمور" [4] و" تحسبها حمقاء وهي باخس"[5] – وهي لعنة قد تصيب الذّكر أيضا.[6]

أمّا حديثا فمتى حمّقت المرأة لم نجدها كاسدة العقل والرّأي لا تشاور ولا يلتفت إليها في أمر من الأمور[7] بل هي تربكنا وتدعونا إلى مراجعة ما استقرّ من معان مرتبطة بلفظة الحمق. وإجمالا فقد وجدنا أنفسنا مع هذا النّصّ أمام مرافعة أنثويّة تحاكم فيها المرأة الرّجل وتواجهه وتعريّه وتناظره وتجادله. ومن ثمّة فالحماقة لم تعد علامة غفلة، بل غدت آية حكمة.

---

[1]– عبد الله محمّد الغذامي، **ثقافة الوهم** ، ص. 62.

[2]– نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.1، ص.633.

[3]– م. ن، ج .1، ص. 588.

[4] – النّيسابوريّ، عقلاء **المجانين**، ص. 33.

[5] – يضرب هذا المثل لمن يتباهل وفيه دهاء. والمثل تكلم به رجل من بني العنبر من تميم جاورته امرأة فنظر إليها فحسبها حمقاء لا تعقل ولا تحفظ ولا تعرف مالها. فقال العنبري: ألا أخلط مالي ومتاعي بملها ومتاعها، ثم اقاسمها فآخذ خير متاعها وأعطيها الرديء من متاعي. فقاسمها بعدما خلط متاعه بمتاعها. فلم ترض عند المقاسمة حتى أخذت متاعها. ثم نازعته وأظهرت له الشكوى حتى افتدى منها ما أرادت. فعوتب على ذلك فقيل له: اختدعت امرأة، وليس ذلك بحسن. فقال: تحسبها حمقاء وهي باخس" م. ن ، ص 33.

[6]– آهِ .. يا فاطمتي..
يا التي عِشْتُ وإيّاها ملايينَ الحماقاتِ الصغيرَهْ
خلفَ أسوار الزّمان العربيُّ
وأنا أعرفُ معنى أن يبوحَ المرءُ..
أو يهمسَ..
أو ينطقَ..
في هذا الزّمان العربيّ، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.4، ص. 172.

[7]– قال ابن الإعرابيّ:" الحماقة مأخوذة من "حمقت السّوق" إذا كسدت، فكأنّه كاسد العقل والرّأي فلا يشاور، ولا يلتفت إليه في أمر حرب"، **أخبار الحمقى والمغفّلين**، ص. 13.

ISSN : 2410-1818

وإذا ما تجاوزنا ثنائية الذّكر والأنثى والأحمق والحمقاء، أمكننا أن نتوقّف بإيجاز عند ظاهرتين دلالتين من دلالات الحمق. الأولى مدارها على أنّ الشّاعر وسّع مجال الحمق. فلم يعد صفة بشريّة، بل وسم به الشَّعْرَ [1] والنّهد – وما أدراك ما النّهد في شعر نزار قبّاني[2]– وكشف عن مدى تأثيره فقال:

نسيتُ أمامَ حماقةِ نَهْدَيكِ.. فَنّ الكَلَامْ.
نسيتُ النّقاطَ. نسيتُ الحُرُوفَ.
نسيتُ الحليبَ. نسيتُ الرُّخَامْ.
نسيتُ مداعبةَ النّهْدِ..
من عَهْدِ عيسَى عليه السّلَامْ [3]

وثانيهما أنّ الحمق في الحياة عموما وفي العشق خصوصا قد ارتبط بحرارة لا يُلطّف لهيبها بردٌ، وبصدق لا يشوبه كذب، وبطبع لا يخالطه تكلّف:

أريدُ.. أريدُ أن أحيا
بكل خليَّةٍ مني
مفاتنَ هذه الدّنيا.. بمُخْمل ليلها الواسعْ
وبَرْدِ شتائها اللاذعْ
أريدُ.. أريدُ أن أحيا..
بكل حرارة الواقعْ..
بكل حماقة الواقعْ[4]..

---

[1] – حان الوقت
لأمارس عليكِ سحري
فتزداد أصابعك طولا.
ويزداد خصرك نحولا.
وتزداد عيناك اتّساعاً.
ويزداد شعركِ حماقة.. وفوضى..
وخروجاً على القانون. **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.9، ص. 115.

[2]– أريدُ أن أفاجئ الحَلْمَةَ في مكانِها
والناهدَ الأحمقَ _ يا سيّدتي _
قُبَيْلَ أن يطيرْ، م. ن ج.4، ص. 125.

[3] – م. ن، ج.5، ص. 30.

[4]– م. ن، ج.1، ص. 559.

ISSN : 2410-1818

والحماقة أيضا عنوان طبيعة لم يفسدها تصنّع في الهوى أو تكلّف:

أنا مُدْرِكٌ أنّي جرحتُكِ بالحوارْ.
وجرحتُ نَفْسي..
حين ألقيتُ الزّجاجَ على حقول الجُلّنارْ.
أنا مُدْرِكٌ أنّي انتحرتُ بخِنْجَري
وكسرتُ مصباحَ النهارْ.
فإذا ارتكبتُ حَمَاقتي
فلأنّني لا أتقِنُ التمثيلَ من خلف السِتَارْ[1]..
ومن عادتي
أن أدينَ بلاهَةَ مَجنون ليلى
وصاحبه في الغباء، جميل بثينة..
وآخذ ثارات هند.. ودعد.. ولبنى..
وكلّ النّساء اللّواتي عشقن.. ومتن..
ولم يغتسلن بصوت الرّجل[2]

نستخلص مما سبق أنّ الحمق في شعر نزار قبّاني لم يعد نقصا يصيب المرء ويقعد به دون مرتبة "الأسوياء"، بل أصبح معطى ثقافيّا يتهّم به الرّجل المرأة إن خالفت تعاليم القبيلة. ولكن المرأة لا تخضع ولا تخنع. فتردّ التّهمة وتثبت أنّ الحماقة عنوان حكمة وتعقّل. فإذا تكلّمت أثبتت أنّ في خطاب الحمقى من النّساء ما قلب الآيات، وما غيرّ العلامات.

وإذا كان الحمقى قديما يدلون "بدلائهم فلا يتحرّجون أن يرسلوا الأحكام ويحمّقوا الغير ذلك أنّهم أسوياء مسلّمون عند أنفسهم (..) فيسترسلون مع طباعهم ويلفظون ملاحظاتهم في غير حرج" [3] فإنّهم في قصائد نزار قبّاني ذهبوا في مجادلة "العقلاء" مذهبا بعيدا حتّى صار عقلاء الرّجال حمقى، وحتّى غدت حمقى النّساء "كاملات عقل ودين". يحدث كلّ ذلك في"دولة الذّكور" التي لا يعترف الشّاعر بعاداتها، ولا يخضع للقوانين التي تنظمها.[4] وبهذا المعنى لم يعد الحمق" قيمة مرذولة وفرعا من

[1]– م. ن، ج.9، ص. 610.

[2] – م. ن، ج.9، ص. 258.

[3]– أحمد خصخوصي، **الحمق والجنون**، ص. 149.

[4]– نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، ج.4، ص. 374.

ISSN : 2410-1818

فروع المثالب". [1] يستمدّ منه "الأدباء الصّور المضحكة والمعاني السّاخرة بما فيه من حمق واستحماق وتحميق وتحامق ".[2] بل غدا علامة نضج وتعقّل وتبصّر. ألم يقل ميشال فوكو" إنّ الصّور العبثيّة للحماقات العمياء هي المعرفة الكبيرة " [3]

المبحث الثالث: جنون الحبّ / جنون الأدب

لمّا نظرنا في النّصوص التي حدّثت بالجنون في تجربة نزار قبّاني الإبداعيّة والنّقديّة تبيّن لنا أنّها تدور على محورين بارزين: محور الحبّ ومعه لا يكون الحبّ حبّا إلاّ إذا كان مجنونا. ومحور الأدب ومعه لا يكون الأدب أدبا إلاّ إذا كان مجنونا أيضا. وقد لخّص الشّاعر هذين المحورين في قوله:

ومن عادتي
أن أمارس عشقي حتّى الجنون.
وأقترف الشّعر حتّى الجنون. [4]

ولا معنى لهذا الجنون أو ذاك إذا لم تكن المرأة مبتداه ومنتهاه:

كيف يمكن أن تصدّق امرأة مثلك
رجلا مثلي
يحمل على كتفيه
خمسين عاما من الشّعر
وخمسين عاما من الجنون
ومليون امرأة [5]

وتظهر منزلة هذين المحورين أوّل ما تظهر في عتبات النّصوص قبل أن تتجلّى في المتون. ذلك أنّ الشّاعر قد أسكن الجنون منازل متقدّمة من نصوصه. وسنكتفي هنا بنصيّن أولّها شعريّ وثانيهما نثريّ.

صدّر نزار قبّاني ديوانه " أشعار خارجة على القانون" بنصّ شعريّ فقال:

حبيبتي
لأن من يُحبُّ في مدينتي مجنونْ..

---

[1]- أحمد خصخوصي، **الحمق والجنون**، ص. 252.

[2]- م. ن، ص.252.

[3] - ميشال فوكو، تاريخ **الجنون في العصر الكلاسيكيّ**، ص .59.

[4]- نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، ج.4، ص. 223.

[5] - م. ن،ج. 9 ص. 239.

ISSN : 2410-1818

لأنّهمْ في بلدي
يصنّفون الحبَّ في مرتبة الحشيش والأفيونْ
ويشنقونَ باسمِهِ..
ويقتلون باسمِهِ.. ..
ويكتبونَ باسمِهِ القانونْ
قرَّرتُ يا حبيبتي
قرَّرتُ أن أحترفَ الأشعارَ والجنون !![1]

تبدو العلاقة بين عنوان الديّوان وصورة المجنون التي هفا إليها الشّاعر في هذا النّصّ متينة عميقة لاشتراكهما في إعلان التّمرد والخروج على القانون. وهو بذلك يعيد إلى الأذهان المفهوم السّائد عن الجنون " "هذا جنون" حكم يطلق في وجه كل ما لا يستقيم داخل خطاطة ثقافيّة أو سياسيّة مسبّقة.[2] والجنون في هذا المقطع على ضربين: ضرب كانت فيه كلمة الجنون" كلمة معطّلة وممنوعة ومعتقلة"، [3] لأنّ مصدرها المجتمع الذي بنى "معتقلات الحبّ العربيّ" [4] وضَرَبَ حولها أسوارا عالية، حتّى إذا زجّ فيها بكلّ عاشق مجنون ما استطاع فرارا، ولا استطاع هربا.

والمجنون في هذه الحالة هو الذي " يبدر منه ما يمكن أن يكون مخالفا لما جرى عليه العرف من مراعاة لما تقتضيه المقامات وأخذٍ بما جرت عليه التّقاليد، أو يكون خارجا عن المعايير والنّظم التي تحكم أساليب الحياة في المجتمع وتحدّد ما ينبغي الأخذ به وما يتوجّب تجنّبه".[5] وضرب كانت فيه كلمة الجنون حرّة غير معطّلة ولا ممنوعة، لأنّ مصدرها الشّاعر الذي وإن جاء ردّه على تهمة الجنون مشابها لردّ أحد المجانين القدامى[6] فإنه لم يخل من طرافة.

---

[1]– م. ن، ج.2، ص. 7.

[2] – سعيد بنكراد في تقديم كتاب، **تاريخ الجنون**، ص.13.

[3]– جاك دريدا، **استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا**، ص. 24.

[4]– نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.4، ص. 245.

[5]– سعيد السّريحي، **العشق والجنون دولة العقل وسلطان الهوى في الثّقافة العربيّة**، ص .13.

[6]– إنّما سميّ المجنون بقوله: (الطّويل)

يسمّونني المجنونَ حينَ يرونَني نعم بي من ليلى الغداةَ جُنونُ

أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق يوسف البقاعي وفريد السّليم، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط.1/ 2000، ج. 2، ص. 29.

ISSN : 2410-1818

فهو - على غير ما جرت العادة – حين رمي بالجنّة والخبل لم يتبرّأ ولم يتبرّم، ولم يتنصّل من التّهمة ولم يتهرّب. ولم يردّد "وما صاحبكم بمجنون" بل رأيناه يواجه الجنون بالجنون حتّى يؤمّن له دورا في "لعبة القمع العاطفي"[1] عسى أن يؤكّد من جهة الرّأي القائل" يتعينّ أن يظهر الجنون هناك، حيث تنتصر المعرفة" [2] وليثبت من جهة ثانية أنّه بلغ درجة في العشق لا درجة بعدها" والعاشق نفسه يرتضي الجنون لأنّه يمثّل غاية ما يمكن أن ينتهي إليه عشقه وتعلّقه بمن يهواها".[3] لأنّ "حقيقة المجنون هي في نهاية الأمر حقيقة الإنسان العارية" [4]

ومن التّقابل بين "جنون المجموعة" و"جنون الفرد" يظهر الشّاعر صاحب المعرفة الذي يركب الجنون ركوبا، وهو أعمى لا يبصر. ذلك أنّ" العمى هو الصّفة المميّزة للجنون. فإذا ما انحرف إنسان ما عن جادّة العقل، وهو عالم بما أتاه، ولكن كان ذلك تحت تأثير عنيف، وصفناه بأنّه إنسان ضعيف، أمّا إذا انحرف عن جادّة العقل عن عمد واقتناع كامل لا يتزعزع وصفناه بأنه مجنون". [5]

ولا نكادّ نشك في أنّ الشّاعر بنصّه السّابق إنّما كان يهّدد مجتمعه لوعيه بأنّ" المجتمعات سرعان ما تأخذ حذرها من "المجانين" لما يمثّلونه من قوة نقديّة فاضحة ومدمّرة، وذلك عادة بتحديد الأدوار ورسم النّماذج الممكنة ضمانا لظاهرة الجنون ".[6] وليس من العسير على القارئ أن يجد صدى ما ورد من معان في التّصدير التي وشّح به قبّاني ديوانه "أشعار خارجة على القانون" ولا سيّما معنى" الخروج على القانون" والتّمرّد عليه مبثوثا في قصائد عديدة. وحسبنا في هذا المقام شاهدا:

أجملُ ما فيكِ هو الجُنونْ
أجملُ ما فيك- إذا سمَحْتِ لي-
خروجُ نهديكِ على القانونْ..[7]

وأما النّصّ الثّاني فورد في مقدّمة مجموعته الشّعريّة "إلى بيروت الأنثى مع حبّي" وذلك حين كتب يقول "وحدهم المجانين والشّعراء هم الذين يحسنون الكلام عن منافيهم".[8] وهو بهذه التّسوية بين

---

[1]- نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.4، ص. 217.

[2]- جاك دريدا، **استراتيجيّة تفكيك الميتافيزيقا**، ص. 39.

[3]- سعيد السّريحي، **العشق والجنون دولة العقل وسلطان الهوى في الثّقافة العربيّة**، ص. 62.

[4]- شوقي البوعناني، **الجنون في أدب جبران**، ص.45.

[5]- رشا حمود الصّباح، **الجنون في الأدب**، عالم الفكر، م. 18، ع.1 ، أبريل – مايو – يونيو- 1987، ص. 3.

[6] - محمّد علّي الكردي، **الجنون في الأدب الفرنسيّ العقل واللاّعقل أو خطاب الجنون عند ديدرو**، ص. 24.

[7] - نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**،

[8]- نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج. 2، ص. 230.

ISSN : 2410-1818

المجانين والشّعراء وتمييزهم عن غيرهم من صنّاع الكلام إنّما يجعل أمراء الكلام طبقات طبقتهم الأولى يمثّلها" فحول المجانين والشّعراء".

فإذا تركنا العتبات إلى النّصوص أمكننا أن نقف على صور عديدة للجنون والمجانين بناها الشّاعر في تشابه واختلاف مع ما شاع عن الجنون وأهله.

فهو يستخدم لفظة الجنون بدلالتين متقابلتين دلالة سلبيّة ظهرت في سياقات قليلة في شعره ولا سيما السّياسيّ منه. فهو يصف الحاكم العربي بالجنون يقول في قصديته "الدّيك" :

في حَارتِنا..
ديكٌ عصبيٌّ مجنُونْ..
يخطُب يومًا كالحجّاج..
ويمشي زَهْواً كالمأمُونْ...
يصرخُ من مئذَنة الجامع:
" يا سُبْحَاني.. يا سُبْحَانِي.."
"فأنا الدّولةُ، والقانونْ"[1]!!

ولئن كانت صور الجنون السّلبيّة تأتي معنى من معاني الشّعر، فإنّها قد استحالت القطب الذي تدور عليه كلّ الأحداث في مسرحيته " جنونستان" المسرحيّة التي صوّرت لبنان أرض جنون أهلها حمقى بهاليل تراهم سكارى من هول ما حلّ بهذه الأرض التي تكاد لفرط غرابتها توحي بأنها لم يخلق مثلها في البلاد. وهذه المسرحيّة ذات الفصول الثّلاثة تصوّر" وقائع الحرب اللّبنانيّة، بعبثيّتها، ووحشيّتها، وجنونها". [2] وهي حرب جعلت مدينة بيروت "مدينة مجانين" ثلاثة أرباع سكانها من المخبرين. وجعلت الطّبيب يسأل نفسه " لماذا لا يشكو أهل مدينتنا من أسنانهم، أو من مفاصلهم، أو من أمعائهم الغليظة، وإنّما يشكون من عقولهم فقط".

وأمّا الدّلالة الثّانية فتدور على كلّ ما هو إيجابيّ في الحبّ والأدب. ومع هذه الدّلالة ترشح جملة من الثّنائيات لعلّ أهمّها جنون المرأة وجنون الرّجل، والجنون والجمال، والجنون والعنف. فإذا بحثنا عن مصدر الجنون في الحبّ مثلا وجدناه موزّعا بين " المرأة الجنون" و "الرّجل المجنون". وإذا ما تعلّق الجنون بالمرأة وجدناه مقترنا بفتنة الجسد. ومن ثمّة لا يكون قرين" الرّوح" التي أعياها لقاء الحبيب. بل أصبح رديف" الجسم" التي تعتعه السّكر وطوح به تطويحا:

جسمُكِ وليمةٌ مجنونَهْ
من ولائم الرّومانْ

---

[1] – م . ن، ج. 9، ص .256.

[2] – نزار قبّاني، **الأعمال النثرية الكاملة**، ج.8، ص. 669.

ISSN : 2410-1818

يسكرُ فيها النّهدْ..

حتى يسقط على سجادة الموكيت

نجمةً محترقة[1]...

والمرأة هي آخر محطات الجنون التي يحطّ الشاعر عندها عصا التّرحال إذا أعياه السّفر وأضناه الرّحيل:

فأنت جنوني الأخيرُ..

وأنت احتراقي الأخير..

وأنت ضريحي.. وأنت مزاري ..[2]

ولعلّ ذلك ما جعل الشّاعر يتوسّل إليها ألاّ تصدّه ولا تردّه وألاّ تتركه في منزلة بين المنزلتين لا ثواء ولا رحيل:

أيّتها المرأة

التي تتركني معلّقا

بين الهاوية والهاوية

أيّتها المرأة – المأزق

أيّتها المرأة – الدّراما

أيّتها المرأة – الجنون

أخاف أن أحبّك [3]

أمّا إذا ما تعلقّ بالرجّل اقترن بالعنف يجلّيه الشّاعر معجما وصورة:

زيديني عُنْفًا.. زِيديني

يا أحْلَى نَوْباتِ جُنُوني

من أجلكِ أعتقتُ نِسائي

وشطبتُ شهادةَ ميلادي

وقطعتُ جميعَ شراييني...[4]

ومن ثمة تكثر عندئذ الصّور التي تقوم على التّشابيه والاستعارات التي تذهب بعيدا في ترسيخ معاني العشق الذي يبلغ درجات اللّعنة والموت والانتحار:

---

[1]

[2] – م. ن، ج 5، ص .148.

[3] – نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج. 9، ص. 136.

[4]– م. ن، ج. 2، ص .31.

ISSN : 2410-1818

إن حُبِّي لك مَجْنُونٌ.. ومَلْعُونٌ..
وَوَحْشِيٌّ الأظافرْ[1]..

ويرد مقترنا بعالم الموت:

سأركبُ البحرَ.. مَجنوناً ومُنْتَحراً ..
والعاشقُ الفذُّ.. يحيا حين ينتحِرُ...[2]

ويقول:

عندما تبدأُ في عينيك آلافُ المرايا بالكلامْ
ينتهي كلُّ كلامْ..
وأراني صامتاً في حضرة العشق،
ومَنْ في حَضْرَة العشق يجاوبْ؟
فإذا شاهدتني منخطفَ اللون، غريبَ النّظراتِ ...
وإذا شاهدتِني أقرأ كالطّفل صلاتي..
وعلى رأسي فَرَاشاتٌ، وأسراب حمامْ..
فأحبّيني، كما أنتِ، بعنفٍ وجنون[3] ..

ولا يمكن ونحن نعرض لعلاقة العنف بالجنون في تجربة نزار قبّاني ألاّ نقف بعض الوقوف على قصيدة من" يوميّات رجل مجنون" [4] لما رشحت به من معاجم وصور بلاغية تؤكد أنّ" العشّاق والمجانين لديهم هذه العقول الهائجة. وكذلك المخيّلات القوّية التي تتفهّم أكثر ممّا يستطيع العقل البارد أن يفهم، المجنون والعاشق والشّاعر هم أصحاب الخيال الأكثر تأثيرا. يرى المرء منهم شياطين أكثر مما يحتويه الجحيم الشّاسع" [5]

فإذا نظرنا في المعاجم التي غلبت على النّص رأيناها مثقلة بمعاني العنف. وظهر ذلك أكثر ما ظهر مع الأفعال التي درات على دلالات أبرزها دلالات الشدّة والبأس والتيّه (صرخت - أضعت اتّزاني- ضربت - نزفت - تدفقت - انكسرت - تناثرت - ضيعت - تلعنيني - تذبحيني). ثمّ جاءت الصّور البلاغيّة ممثّلة في التّشبيه. فذهبت بمعاني العنف مذهبا بعيدا. فهو إذا طلب النّهد مثلا. وضربه كان برقا يخطف الأبصار:

---

[1]- م. ن، ج .4، ص. 163.

[2]- م. ن، ج.4، ص. 112.

[3] - م. ن، ج.2، ص. ص. 148- 149.

[4] - م. ن، ج 4، ص.135.

[5] - شاكر عبد الحميد، **المرض العقلي والإبداع الأدبيّ**، عالم الفكر، م. 18، ع. 1، أبريل- مايو- يونيو- 1987، ص.47.

ISSN : 2410-1818

إذا ما ضربتُ شبابيكَ نهديكِ

كالبَرْقِ، ذاتَ مساءٍ

فلا تُطفيئيني...

وهو إذا طلب مفاتن الحبيبة كان بحرا موّاجا عجّاجا يلحس الشّطآن:

إذا ما تدفّقتُ كالبحر فوقَ رِمَالكِ..

لا تُوقفيني..

أمّا إذا طلب أن يكون صريع الغواني فيرقص رقصة الدّيك المذبوح:

إذا ما نَزَفْتُ كديكٍ جريحٍ على ساعِديكِ

فلا تسعفيني...

ولعلّ أطرف ما في هذا النّصّ أنّ الجنون لم يعد فعلا يستدعيه قبّاني ليصف بها عاشقا" ذهب عقله وتوحّش" أو نعتا يصف به محبّا جزع جزعا شديدا واستوحش" فهام على وجهه". بل إنّه تحوّل إلى أسلوب من أساليب بناء النّصّ الشّعريّ ورافدا أساسيّا من روافد الدّلالة فيها. بل كان مركز الدّلالة منه تتدفّق المعاني وإليه تعود. ذلك أنّ الشّاعر قد جعل من لفظة الجنون لازمة شعريّة. وهي لازمة جعلت الجنون نواة مركزيّة وإن اختلف نعت الجنون من مقطع إلى آخر. ففي خاتمة المقطعين الأوّل والأخير قال:

أنا الآن في لَحَظاتِ الجُنُونِ العظيمِ

وسوفَ تُضيعين فُرْصَةَ عُمْرِكِ

إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلِّ جُنُوني

ويقول في خاتمة المقطع الثّالث والثّامن:

أنا الآنَ في لَحَظات الجُنُونِ الكبيرِ

وسوفَ تُضيعينَ فُرْصَةَ عُمْرِكِ،

إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلِّ جُنُوني.

ويقول في خاتمة المقطع السّادس:

أنا الآنَ في لحظات الجُنُون المُضيءِ

وسوفَ تُضيعينَ فُرْصَةَ عُمْرِكِ،

إنْ أنتِ لم تستغلِّ جُنُوني.

ويقول في خاتمة المقطع السّابع:

أنا الآنَ في لحظات الجُنُونِ البَهيِّ

وسوفَ تُضيعينَ فُرْصَةَ عُمرِكِ

إنْ أنتِ لم تستغلِّ جُنوني

ISSN : 2410-1818

لعلّ في هذه المقاطع ما يؤكّد أنّ الشّاعر "أمام قرار كبير" جلل عظيم مهيب، كلّما حاول مواجهته أجهده وجع العشق واستنزفه ألم الشّوق. فخرّ صريعا. ورضي لنفسه أن يموت موتة رضيّة. هكذا يردّد الشّاعر مقطع الجنون على نسق بتطريب وتشويق عسى أن تطير له القلوب اشتياقا وتذوب به الأنفس احتراقا. وواضح من خلال هذا التّرديد أنّ الشّاعر مشفق على حبيبته مرتاب لفرط تعلّق. ولعلّ أخشى ما يخشاه أن تتصعّب لحظة الجنون عليها مرّة فلا تنال من حاجتها شيئا، فيكون حالها كحال القابض على الماء تفضحه فروج الأصابع.

وأخشى ما يخشى الشّاعر أن تستفيق الأنثى فتجد نفسها محرومة من الجنون وتوابعه، ومن الخبل وزوابعه. وإذا ما جدّت في البحث عن ينابيعه وجدتها قد أصبحت غورا فلم تسطع لها طلبا. لذلك رأيناه يكرّر على سبيل الإقناع والإمتاع تلك اللاّزمة خوفا من أن يأتي على المرأة يوما فتجد "جنّة جنونها " قد أصبحت صعيدا زلقا. وبهذا المعنى لم يعد الجنون تهمة ثقيل محملها، ولا عذابا أليما لا يبرأ منه صاحبه إلاّ قليلا، بل غدا نعمة شهيّة بهيّة إذا ظفر بها المرء تمنّى أن يمسك بها أبد الدّهر، لأنّه إذا حرمها فقد حرم الخير كلّه .والحقيقة أنّ الخوف من ضياع الجنون فكرة شائعة في قصائد نزار قبّاني وقد اقترن ذكرها في عدد غير قليل من القصائد بالزّمن، فمع بعض الأشهر ينمو الجنون ويربو:

يقول في نص بعنوان " قصيدة سبتمبر"

هل شهر أيلول الذي يكتبني؟
أم أن من يكتبني هو المطر؟؟
أنت جنون شتويّ نادر..
يا ليتني أعرف يا سيّدتي علاقة الجنون بالمطر[1]

ويقول في قصيدته " فاطمة في الريّف البريطاني"

شهرُ ديسمبرَ.. مجنونٌ تَعلّمْتِ به..
أن تَثُّوري..
وتعلّمتُ به كيف أثُورْ..
شهرُ ديسمبرَ..
ألغى عُقْدَةَ الحُبِّ التي نحملُها
فإذا بي مثلَ عُصْفُورٍ طليقٍ..
وإذا بكِ، يا فاطمةٌ،
دونَ جُدُورْ[2]..

---

[1] – نزار قبّاني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، ج.9، ص .538.

[2]– م. ن، ج.4، ص. 152.

ISSN : 2410-1818

ولكن جذوة ديسمبر يقتلها سنّ الأربعين، كما تبيّن لنا في الفصل السّابق. فإذا ما شارف العاشق على سنّ الأربعين "سن الرّشد والنّضج" ضاع الجنون وقال المرء: سلام على الجنون يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّا.[1]

ولعلّ أغرب أوجه العدول التي آتاها الشّاعر نزار قبّاني وهو يصوّر جنون الحبّ أنّ الجنون لم يعد "ضدّ الذّاكرة" ولم يفعل بقبّاني ما فعل "بالشّعراء المجانين". فقد عهدنا المجنون هائما على وجهه لا يدري من أمره رشدا ينسى كثيرا ويتذكر قليلا.[2] فإذا بنا مع مجنون أسعفته ذاكرته ولم يكن بتذكر حبيبته شقيّا:

يا حبيبَتْ:
بعد عامينِ طويلينِ من الغُربَةِ والنّفي..
تذكّرتكِ في هذا المساء..
كنت مجنوناً بعينيكِ..
ومجنوناً بأوراقي..
ومجنونا لأنَّ الحبَّ جاء..
ولأنَّ الشّعرَ جاء..
كنت أبكي ضاحكاً مثل المجاذيبِ.. لأنّي
أستطيع الآنَ، يا سيّدتي، أن أتذكّر..
مدهشٌ أن أتذكّر..
مدهشٌ أن أتذّكر.
ليس سهلاً في زمان الحرب أن يسترجعَ الانسانُ
وجه امرأةٍ يعشقُها..
فالحربُ ضدَّ الذّاكره..
ليس سهلاً في زمان القبح..

---

[1]– نزار قبّاني، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، ج.5، ص .471.

[2] – كان المجنون وليلى وهما صبيّان يرعيان غنماً لأهلها عند جبلٍ في بلادهما يقال له التّوباد، فلما ذهب عقله وتوحّش، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكّر أيّام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً. واستوحش. فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشّأم، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للنّاس الذين يلقاهم: بأبي أنتم، أين التوباد من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشّأم عليك بنجم كذا فأمه، فيمضي على وجهه نحو ذلك النّجم حتىّ يقع بأرض اليمن، فيرى بلاداً ينكرها وقوماً لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتىّ يقع على التّوباد" **الأغاني**، ج .2 ، ص .ص .38– 39.

ISSN : 2410-1818

أن أجمعَ أزهارَ المانوليا[1]

ليس سهلا أن يتذكرّ الإنسان زمن الحرب لا سيما إذا كان في حالة جنون. ولعلّ لحظة التّذكّر التي عاشها الشّاعر كانت أشدّ وأعتى من اللّحظة التي عاشها عنترة بن شدّاد ، وهو يستحضر صورة عبلاه في ساحة الوغى (الكامل)

وَلَقَد ذَكَرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ ... مِنّي وبيضُ الهندِ تَقطُرُ مِن دَمي
فَوَدَدتُ تَقبيلَ السُيوفِ لأَنَّها ... لَمَعَت كَبارِقِ ثَغرِكِ المُتَبَسِّمِ[2]

هذه على الإجمال ملاحظات أوليّة حول علاقة العشق بالجنون في مدوّنة نزار قباني الغزليّة. ولعلّ أهمّ ما نحتفظ به منها أنّ بعضا من صور المجانين في القصائد التي مرّت بنا هي صور على صلة بما استقرّ من صور في كتب الأدب العربيّ القديم. ولعلّ فضل الشّاعر أنّه جعل الجنون "مركزا" وكان فيما مضى" هامشا"، ومن ثمّة لم يعد الجنون جنونا "طائشا " بل غدا "جنونا عاقلا":

لن تعرفي طعم السّلام بجانبي
فأنا التّناقض.. والتّحول
والجنون العاقل [3]

وإذا تركنا خطاب الحبّ إلى خطب الأدب وجب علينا أن ننبّه إلى أنّنا في هذه المقاربة الأولى لمنزلة الجنون من مدوّنة نزار قبّاني سنكتفي بالإشارة إلى مسألتين. تتعلّق الأولى ببعض المصادر التي أثّرت في خطاب الجنون لدى هذا الشّاعر ولا سيما المصادر الرّومنطيقيّة. وترتبط الثّانية بمحاولة الوقوف على موقف قبّاني من علاقة الأدب بالجنون.

أمّا البحث في المصادر فيحتاج في نظرنا إلى تدبّر عميق للنّصوص المقدّسة عموما وللنّصوص الرّومنطيقيّة[4] خصوصا حتّى نقف على المنابع التي متح منها الشّاعر وهو يحكي قصص مجانينه ويحكي قصّة جنونه هو نفسه.

---

[1]– م. ن، ج.2، ص. 250.

[2] – عنترة بن شدّاد، **الدّيوان بشرح الخطيب التّبريزي**، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط./1 1993، ص .199.

[3]– م. ن، ج.5، ص. 438.

[4] – لقد مثّلت الرّومنطيقيّة منطلقا من أهمّ المنطلقات في الثّقافة الغربيّة إلى الاهتمام بالجنون وبالحلم وبالخيال وبالرّوح وباللاّوعي، وبكلّ ما له صلة بذلك الجانب الذي عملت الرّؤية العقليّة على طمسه في الإنسان باعتباره منتميا إلى مجال اللاّعقل Déraison مجال الوهم والخطأ والضّلال. ومثّل الاهتمام بالجنون في إطار هذه الرّؤية خطّا متواصلا ينطلق من جماعة حلقة IENA مرورا بنيتشه Nietzsche (Friedrich) (1844– 1900) وهايدغر Heidegger (Martin) (1889– 1976) وصولا إلى فوكو Foucault (Michel) (1926– 1984) ودريدا Derrida (Jacques). شوقي بوعنان، **الجنون في أدب جبران**، ص. ص. 3 – 4.

ISSN : 2410-1818

ولنا في هذا المقام أن نكتفي بهذا الشّاهد" ولأنّني أكتب شعرا يا صديقتي، لأنّني أكتب عن ضفائرك بيادر القمح والذّهب.. طاردني النّاس واعتبروني مجنونا. أنا عندهم مجنون لأنّني فتحت السّتائر عن عينيك الخضراوين. لأنّني وضعت في جيبك نصف قمر بنفسجي.. إنّهم لا يحتملون الحرائق الكبيرة.. في العيون الكبيرة.. إنّهم لا يفهمون قضيّتي وقضيّة عصافير الصّيف المهاجرة إلى عينيك.. أنا مجنون لأنّني كتبت اسمك على جدران المدينة التي لا يزورها نوّار. ولا تفكّر بسقوفها العصافير. أنا مجنون لأنّني حملت المطر إلى المدينة التي نسيتها الأمطار. أنا مجنون في منطق المدينة التي لم يهذبها الجنون. وأشعاري كالحطيئات الطّاهرة يعانقها النّاس ويشتمونها."[1]

ليس غريبا أن تشيع المقابلات التي تكشف عن صراع الأنا مع "الأنتم". فطالما حدّثنا الأدباء الرّومنطيقيون عن هذا الصّراع وأسبابه. ذلك أنّ "الجنون لا يتحقّق إلاّ في عالم يشهد صراع الأفكار" [2] بين "الأنا" الثّائرة المتمرّدة و"الأنتم " المستكينة الخاضعة. فالمجنون في هذا النّص - ونظائره عديدة - " يذكّرنا بأنّ شيئا ما في العقليّة السّائدة ليس على ما يرام، وأنّه وراء الواجهة تختفي حقيقة أخرى. فهو يعترض على اليقينيات، ويقول أشياء فاضحة غير مقبولة لا نريد سماعها" [3]

إنّ المعاني والصّور التي رشحت في القول السّابق غير غريبة عن خطاب الكتب المقدّسة، ولا غريبة أيضا عن أدبيات التّيار الرّومنطيقيّ. فقد " دعت الأمم الرّسل مجانين، لأنّهم شقّوا عصاهم فنابذوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه".[4] وفي الإنجيل مثلا نجد يسوع الذي اتّهم بالجنون يقول "لا تظنّوا أنّي جئت لأرسي سلاما، بل سيفا. فإنّي جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمّها (...) وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته".[5] وفي مؤلّفات جبران خليل جبران (1883- 1931) من أقوال مجانينه[6] ما دفع بعض الباحثين إلى القول" فالجنون يتّخذ لديه دلالة الثّورة على الاستبداد باسم الدّين

---

[1] - نزار قبّاني، **الأعمال النّثريّة الكاملة**، ج.7، ص. 322.

[2] - Shoshana Felman , ***la Folie et la chose littéraire*** **, Paris, Seuil, 1978 ,** P.37.

[3] - Roland Jaccard , ***La folie*** , PUF ,1988 .p.75

[4] - **عقلاء المجانين**، ص. 38.

[5] - **الإنجيل**، متى 10(34- 36)، ص. 15.

[6] - نذكر تمثيلا خطاب خليل الكافر- طلب رجال الدّين من أمّه أن تداويه لأنّه مجنون - وهو يتوجّه بالخطاب إلى رجال الدّين " هكذا تتلاعبون بتعليم هذا الكتاب أيّها المراؤون، هكذا تستخدمون أقدس ما في الحياة لتعميم شرور الحياة (...) ويل وألف ويل لكم أيّها الخاضعون لأصنام مطامعكم، السّاترون بالأثواب السّوداء اسوداد مكروهاتكم، المحرّكون بالصّلاة شفاهكم وقلوبكم جامدة كالصّخور، الرّاكعون بتذلّل أمام المذابح ونفوسكم متمرّدة على الله " جبران خليل جبران ، **المجموعة الكاملة** ، تقديم جميل جبر، بيروت ، دار الجيل، ط1. 1994، ص. 122.

ISSN : 2410-1818

ويخدم غرض هدم الرّؤية الدّينيّة الّتقليديّة في واقع الحياة. هذا الواقع هو الذي استلهم منه الكاتب نموذجه السّرديّ الذي انطلق منه في كتابة أحداث قصّتي " يوحنا المجنون" و" خليل الكافر" " [1]

وأمّا عن موقف الشّاعر من علاقة الجنون بالأدب فيمكن أن ننطلق في رصده على هدي هذا القول" مفاتيح شعري ثلاثة: الطّفولة، والثّورة، والجنون (...) وبالجنون أعني تفكيكَ ساعة العقل القديمة، والاعتراض العنيف على كلّ الأحكام القرقاشيّة الصّادرة علينا قبل ولادتنا.. إنّ أخطر ما يقع فيه الشّاعر هو السّقوط في صمغ الطّمأنينة ومهادنة الأشياء التي تحيط به". [2]

والحقيقة أنّ هذا المفتاح طالما اتّخذه الشّاعر ي لفتح كلّ الأبواب المتّصلة بالشّعر إنشاء، ولغة، ووظيفة، وتقبّلا. ففي سؤاله "ما هو الشّعر؟ - الذي كان عنوانا لأحد كتبه أيضا-، قدّم الشّاعر اثنتي عشرة إجابة. وكانت الإجابة الثّانية "الشّعر هو الكلام المجنون الذي يختصر كلّ العقل، والفوضى التي تختصر كلّ النّظام". وجاء في الإجابة الرّابعة " الشّعر هو ذلك الفنّ الخارج على القانون ويعكس قمة العدالة". وجاء في الإجابة العاشرة قوله" الشّعر هو الجنون الوحيد الذي لا نستطيع الحكومة أن تأخذك بسببه إلى مستشفى الأمراض العقليّة.. ولا تستطيع أن تتركك مع المجتمع.. حتّى لا تنسفه.." [3]

تكشف الأجوبة السّابقة عن محاولات لحدّ الشعر. وهي إن لم ترتق إلى حدّ أن تكون بيانات أو نصوص نقديّة فإنّها تكشف عن تصوّر قبّاني لمفهوم الشّعر وطبيعته عموما ولوظيفته خصوصا. ولعل أهمّ ما في ذلك التّصور أنّ الشّعر في جوهره خروج عن السّائد المألوف وقطع مع النّماذج الشّعريّة التي كرّسها العقل. وبناء على هذا التّصوّر يصنّف قبّاني لغة الشّعر تصنيفا فيه تكون اللّغة المجنونة هي اللّغة التي لا يعدل بها لغة" الكلمات كالبشر.. بعضها سلَفي.. وبعضها مستقبليّ.. وبَعضُها عاقل. وبعضها مجنون. وبعضها لمّاح.. وبعضها غليظ. وبعضها يبحث عن السترة. وبعضها يبحث عن الفضيحة.. وبعضها يرقص (السّماح).. وبعضها يرقص (الجيرك).وبعضها يمشي كقطار اللّيل ..وبعضها يثقب السّماء كطائرة الكونكورد ..ولكي تكونَ مدهشا- شعريًا على الأقلّ- لا بدّ أن تُحدث خللاً في ترتيب الأشياء والكلمات.. والعادات اللّغويّة.[4]

وعن دوافع الكتابة يقول "لمن أكتب؟ في الكتابة، أبحث عن شركاء يقتسمون معي بصورةٍ عادلة، فَرَحي وحُزْني، عقلي وجنوني، صحوي ومطري، حناني وتَوَحّشِي، مناخاتي الرّبيعيّة، ومناخاتي

---

[1] – شوقي بوعنان، **الجنون في أدب جبران**، ص. 36.

[2]– نزار قبّاني، **الأعمال النّثريّة الكاملة**، ج.7، ص. ص .262-263.

[3] – م. ن، ج .8، ص. ص .35-37.

[4] – م. ن، ج .8، ص. 108.

ISSN : 2410-1818

الاستوائيّة. في الكتابة، أبحث عن كلّ أطفال العالم، ومجانينه، وفوضوييّه الذين لا يزالون يحتفظون بحدٍّ أدنى من البراءة والنّقاء، وعن جميع التّلاميذ الهاربين من زنزنات التّعليم العثمانيّ والإنكشاريّ إلى براري الحريّة.[1]

والمعلوم أنّ نزار قبّاني كان من أبرز الشّعراء الذين كانوا يلقون شعرهم في المحافل الدّوليّة. وقد وجدناه في غير موضع يتحدّث عن الدّوافع التي تجعله قارئا لشعره منشدا له. ولم يغب الجنون عن ذلك الحديث " إنّ المجانين وحدهم هم الذين يتغذّون بحوارهم الدّاخلي ويعلكون خبز أوهامهم. الفنون بجميع أشكالها هي الجسور التي تربطنا بالآخرين، هي السّلالم الحريريّة التي نتسلّق عليها لنعانق الآخرين" [2]

وليس الجنون عند نزار قبّاني في النّهاية خيارا يتّخذه الأديب، بل هو أمر مقدر عليه" الخروج على القانون، هو قدر القصيدة الجيّدة.. وليس ثمّة قصيدة ذات مستوى، لا تتناقض مع عصرها. ولا تتصادم معه. وفي العصر العربيّ الرّاهن، تمسّ الحاجة إلى شعراء هستيريين، واقتحاميين، وتصادميين، يتجاوزون إشارات المرور الحمراء، ويضعون القنابل الموقوتة تحت عجلات القطار العتيق الذي يركبه أبو جهل.. وحاشيته.. ونسوانه.. وقططه.. وكلابه" [3]

هذه مجرّد ملاحظات أوليّة وشواهد مختزلة عن علاقة الأدب بالجنون في تجربة نزار قبّاني. وهي تحتاج بلا ريب إلى تقصّ وتعمّق حتّى نفهم كيف اشتغلت ثنائيّة العقل والجنون في هذا التّجربة. وهي الثّنائيّة التي طالما أقيم عليها تاريخ الجنون فـ " العقل الحقيقيّ ليس خالصا من كلّ تواطؤ مع الجنون. إنّ الأمر على العكس من ذلك. فعلى العقل أن يسلك نفس السّبيل التي يرسمها له الجنون" [4] "وإذا كان الجنون يبدأ، في واقع الأمر، حيث ينتهي العقل – والعقل ليس إلاّ نتاج بيئته، فإنّ الأدب كذلك، في عرف الأديبة المعاصرة (مانوني) حيث ينتهي الخطاب العلميّ أو الواقعيّ. من هنا كان ارتباط الأدب بالجنون ارتباطا وثيقا بالضّرورة، فكلاهما يقوم على الخيال ويعمل على كشف الوهم في قلب الواقع وإبراز هوية الإنسان " [5]

---

[1] – م. ن، ج.8، ص .89.

[2] – م. ن، ج .7، ص. 82.

[3] – م. ن،ج. 8، ص .42.

[4] – ميشال فوكو، تاريخ **الجنون في العصر الكلاسيكيّ**، ص. 52.

[5] – محمّد علّي الكردي، **الجنون في الأدب الفرنسي العقل واللاّعقل أو خطاب الجنون عند ديدرو**، ص .24.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

حاولنا في هذا العمل أن نثير بعض القضايا المتّصلّة بخطاب الحمق والجنون في تجربة نزار قبّاني. ونأمل أن تكون هذه الإطلالة السريعة محفّزا على الاشتغال على خطاب الجنون في الشّعر العربي الحديث لأنّ من المواضيع التي ظلت نسيا منسيّا.

وقد تبيّن لنا في هذا المقال أنّ الشّاعر لم يخرج حمقاه ومجانيه في صور منفّرة تمجّها الأسماع وتشيح عنها الأعين. ولا هو جعلهم سخريّة السّاخرين وتهكّم المتهكّمين. بل إنّه خلقهم فسوّاهم فعدّلهم. ثمّ كشف أقوالهم، وأظهر أفعالهم وأقام لهم وزنا، وبيّن أنّهم ذوي رأي وحجي. فهم قد قالوا وأطالوا، ولكنّهم ما قالوا قولا سيّئا، وما قالوا شططا. وهم فعلوا ما فعلوا. فما أتوا بفاحشة. ولا أزلّهم الحمق أو الجنون. فأتوا شيئا إمرا أو اتّبعوا أهواءهم. فكان أمرهم فرطا.

وإذا كانت قصيدة "رسالة إلى رجل ما" قد مثّلت علامة فارقة في النّصوص التي درات على الحمق- بل لعلّها القصيدة التي لا نعدل بها قصيدة حدّثت بالحمق في الشّعر العربيّ الحديث لما فيها من لطائف وطرائف لم نعهدها في قديم الأدب أو حديثه- فإنّ القصائد التي صوّرت المجانين وإن اختلفت دلالاتها وتنوّعت مضامينها قد أكدّت مجتمعة أنّ العشق المجنون ليس كمثله شيء وأنّه إلى الجنون يرجع الحبّ كلّه، وبرهنت على أنّه لا معنى لأدب لا يركب الجنون وأنّه إلى الجنون أيضا يرجع الأدب كلّه.

ISSN : 2410-1818

ثبت في مصادر البحث ومراجعه

(مرتّبة ترتيبا ألفبائيّا دون اعتبار ابن وأبو)

المصادر

- **قبّاني**، نزار، **الأعمال الشّعريّة الكاملة**، بيروت، منشورات نزار قبّاني، ط.3/2002.
- ـــــــــــــ، **الأعمال السّياسيّة الكاملة**، بيروت، منشورات نزار قبّاني، ط.3/2008.
- ـــــــــــــ، **الأعمال النّثرية الكاملة**، بيروت، منشورات نزار قبّاني، ط.3/2008.
- ـــــــــــــ، **من أوراقي المجهولة (سيرة ذاتيّة ثانية)**، بيروت، منشورات نزار قبّاني، ط.1/ 2000.

المراجع العربيّة والمعرّبة

- **الأبشيهي**، **المستطرف في كلّ فنّ مستظرف**، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1952.
- **بورتر**، روي، **موجز تاريخ الجنون**، ترجمة ناصر مصطفى، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث، كلمة، ط.1/ 1912.
- **البوعناني**، شوقي، **الجنون في أدب جبران**، بحث لنيل شهادة الدّراسات المعمّقة في اللّغة العربيّة وآدابها، (عمل مرقون بكليّة الآداب والفنون والإنسانيات منّوبة). السّنة الجامعيّة 1997- 1998.
- **التّوحيدي**، أبو حيّان، **الإمتاع والمؤانسة**، صحّحه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزّين، بيروت منشورات المكتبة العصريّة، د.ت.
- **الجاحظ**، عمرو بن بحر، **البيان والتّبيين**، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، نشر مؤسّسات الخانجي، ط.3/د.ت.
- ـــــــــــــ، **الحيوان**، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، نشر مؤسّسات الخانجي، ط.3/ 1969.
- **جبران**، خليل جبران، **المجموعة الكاملة**، تقديم جميل جبر، بيروت، دار الجيل، ط.1. / 1994.
- ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفّلين**، بيروت، دار السّرور، د.ت.
- ـــــــــــــ، **أخبار الأذكياء**، تحقيق محمّد مرسى الخولي، المكتب الشّرقي للنّشر والتّوزيع، 1970.
- **خصخوصي**، أحمد، **الحمق والجنون في التّراث العربي من الجاهليّة إلى أواخر القرن الرّابع**، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط.1، 1993.
- ـــــــــــــ، **مجمع الهزل والجدّ**، تونس، مركز النّشر الجامعي، ط.1/ 2011.

ISSN : 2410-1818

- **خضر، العادل، الأدب عند العرب وسائطيّة**، منشورات كلّية الآداب منّوبة، دار سحر للنّشر، ط.1/ 2004.
- **دريدا**، جاك، **استراتيجيّة تفكيك الميتافيزيقا حول الجامعة والسّلطة والعنف والعقل والجنون والاختلاف والتّرجمة واللّغة**، ترجمة وتقديم عز الدّين الخطابي، أفريقا الشّرق، ط.1/2013.
- **دوبري**، ريجيس، **حياة الصّورة وموتها**، ترجمة فريد الزّاهي، الدّار البيضاء، أفريقيا الشّرق، 2002.
- **زيادة**، مي، **الأعمال الكاملة**، جمع وتحقيق سلمى الحفّار الكزبري، بيروت، مؤسّسة نوفل، 1982.
- **السّريحي**، سعيد، **العشق والجنون دولة العقل وسلطان الهوى في الثّقافة العربيّة**، لبنان، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، 2015.
- **بن سلامة**، رجاء، **بنيان الفحولة أبحاث في المذكّر والمؤنّث**، تونس، دار المعرفة للنّشر، 2006.
- ـــــــــــــ، **العشق والكتابة**، منشورات الجمل، ط.1/ 2003
- **الغذامي**، عبد الله محمّد ، **المرأة واللّغة**، المركز الثّقافي العربي، ط.1/ 1996.
- ـــــــــــــ، **ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللّغة**، المركز الثّقافي العربيّ، ط.2/ 2000.
- **الغزالي**، أبو حامد، **ميزان العمل**، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة ، دار المعارف، ط.1/ 1964.
- **فوكو**، ميشال، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكيّ**، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، الدّار البيضاء، ط.1، 2006.
- **القلقشنديّ**، أبو العباس شهاب الدّين، **صبحي الأعشى في صناعة الإنشا**، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمّد حسين شمس الدّين، بيروت لبنان، دار الكتب العلميّة. د، ت.
- **كيليطو**، عبد الفتاح، **الأدب والارتياب**، الدّار البيضاء، دار توبقال للنّشر، ط.1/ 2007.
- ـــــــــــــ، **الأدب والغرابة دراسات بنيويّة في الأدب العربيّ**، بيروت، دار الطّليعة، ط.3/1997.
- **المنّاعي**، مبروك، **الشّعر والسّحر**، دار الغرب الإسلاميّ، ط.1/ 2004.
- **ابن منظور، لسان العرب**، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ ومؤسّسة التّاريخ العربيّ، ط.3/ 1999.
- **الميداني**، أبو الفضل أحمد، **مجمع الأمثال**، تحقيق محيّ الدّين عبد الحميد، بيروت، دار القلم، د.ت.
- **النّيسابوري**، أبو القاسم، **عقلاء المجانين**، شرح وتعليق عبد الأمير مهنا، بيروت، دار الفكر اللّبناني، ط.1/1990.

الدّوريات

الصّباح، رشا حمود، **الجنون في الأدب**، عالم الفكر، م.18، ع.1، أبريل– مايو– يونيو– 1987.ص.ص. 2- 18.

ISSN : 2410-1818

- **الكردي**، محمّد علي، **الجنون في الأدب الفرنسي العقل واللاّعقل أو خطاب الجنون عند ديدرو"**، عالم الفكر، م.18، ع.1، أبريل، مايو – يونيو، 1987. ص. ص 19- 43.

- **الكحلاوي**، محمد، **آليات القراءة ونسق الفهم: قراءة في كتاب خطاب الجنون**، فصول، م.25/ 3، ع.99، ربيع 2017، ص. ص. 644- 657.

- **عبد الحميد**، شاكر، **المرض العقلي والإبداع الأدبيّ**، عالم الفكر، م. 18، ع. 1، أبريل- مايو- يونيو – 1987، ص. ص 47.

- **عسيري**، أحمد، **اللغة والجنون مقاربة في النّقد الثّقافيّ**، الخطاب، ع.19، ص.ص.131- 154.

المراجع الأجنبيّة

- Felman ,Shosbana , **la Folie et la chose littéraire ,** Paris, Seuil, 1978.

-Jaccard, Roland, ***La folie***, PUF ,1988.